

وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَلِيلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَمَا بَعْدُ . فَأَتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَجْسَادَكُمْ عَلَى النَّارِ لَا تَقْوَى. وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. فَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، 2- وَقَالَ - تَعَالَى -: (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) 3- بَلْ وَرَفَعَ اللَّهُ مِنْ شَهَادَةِ الْعُلَمَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق]. 5- وَذَمَّ اللَّهُ - تَعَالَى - الْجَهْلَ وَالْجَاهِلِينَ، وَحَذَرَ مِنْهُ، يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَى - مُخْبِرًا عَنْ قَوْلِ نُوحٍ لِقَوْمِهِ: (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ). 6- وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْعُلَمَاءَ كَخَيْرِهِمْ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَوُونَ، وَأَيُّ شَيْءٍ وَرِثَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ إِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ؛ "وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّهِ وَإِفْرٍ"، (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ). 9- وَأَخْبَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ عَلَامَةَ فَلَاحِ الْمَرْءِ وَإِرَادَةِ اللَّهِ الْخَيْرَ لَهُ أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ؛ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ" (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). لِأَنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ يَعْصِمُ صَاحِبَهُ وَالنَّاسَ، وَأَمَّا النَّوَافِلُ الْبَدَنِيَّةُ؛ فَمَقْصُورَةٌ عَلَى صَاحِبِهَا فَإِنَّ الْعَابِدَ الْجَاهِلَ قَدْ يَقُومُ بِعِبَادَةٍ فَاسِدَةٍ تَكُونُ وَبَالَآ عَلَيْهِ، وَلِأَنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى أَثَرُهُ بَعْدَ مَوْتِ صَاحِبِهِ، وَلِأَنَّ فِي بَقَاءِ الْعِلْمِ إِحْيَاءً لِلشَّرِيعَةِ وَحِفْظًا لِمَعَالِمِ الْمِلَّةِ؛ 13- وَلِفَضْلِ الْعِلْمِ وَكَرَامَتِهِ؛ فَقَدْ طَلَبَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ صُحْبَتَهُ لِعَرَضِ التَّعَلُّمِ، قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) 14- وَأَخْبَرَ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّهُ آتَى كَلِيمَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نُورَ الْعِلْمِ، فَقَالَ: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) 15- وَزَيَّنَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِهِ نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ بِنُورِ الْكَرِيمِ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -، فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ). 17- وَأَخْبَرَ فِي مَعْرِضِ الْمَنْ بِالْفَضْلِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)، - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِأَبِيهِ: (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا). وَاسْتِدَادَ الْخُطْبُ، 20- وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَيْضًا هُمْ أَهْلُ الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى -، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)، وَهُمْ أَهْلُ الْخَيْرِيَّةِ. 21- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ). 24- وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَكِيٌّ عَلَى بُرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ، 25- وَالْعَالِمُ الصَّالِحُ مُقَدَّمٌ فِي أَبْوَابِ الْفَضْلِ عَلَى الْعَابِدِ كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا؛ إِلَّا ذَكَرَ اللَّهَ وَمَا وَالَاهُ، وَبَذَلَ الْمَزِيدَ مِنْ وَقْتِهِ. وَعَلِمَتُهُمُ الْحُرُوفُ وَالْكَلِمَاتُ، وَجَمِيعٌ مَنْ يَتَوَلَّوْنَ شُؤُونَ النَّاسِ وَيُوجِرُ مَنْ عَلِمَهُمْ وَمَتَى مَا حَسَنْتَ نَبِيَّتَهُ؛ فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ حَسَنَاتِهِمْ وَأَنْ جَهَدَكَ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ، وَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، وَأَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الَّذِينَ يُضَحُّونَ مِنْ أَجْلِ آبَائِهِمْ، وَيَبْدُلُونَ الْعَالِي وَالنَّفِيسَ لِلرَّفْعِ مِنْ شَأْنِهِمْ؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَصْبِرُوا وَيَتَحَمَّلُوا مِنْ أَجْلِ تَعْلِيمِ الْأَبْنَاءِ. أَنْ يَفْرَحُوا بِهَذِهِ الْعُودَةِ الْحَمِيدَةِ لِفَلذَاتِ الْأَكْبَادِ، وَتَمَرَاتِ الْفُؤَادِ، بَعْدَ هَذِهِ الْإِجَازَةِ. 32- فَإِنَّ هُوَ لِأَنَّ الطَّلِبَةَ وَالطَّالِبَاتِ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ إِدَارَاتِ الْمَدَارِسِ وَمَنْسُوبِيهَا؛ وَمُعَلِّمِيهَا وَمُعَلِّمَاتِهَا فَهَمْ أَهْلٌ لِتَحْمِلِ الْمَسْئُولِيَّةَ وَفَوْقَ التَّوَجُّهِ، وَالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَالتَّوَازُنِ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّهُوِ؛ وَالْأَلَا يَنْسَاهُلُوا فَيَحْضُرُهُمُ لِلْمَدَارِسِ؛ أَنْ يَبْدُلُوا الْجُهُودَ الْعَظِيمَةَ فِي تَرْبِيَةِ الطَّلَابِ وَالطَّالِبَاتِ؛ وَتَعْرِيفُهُمَا بِعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الْوَسْطِيَّةِ الْحَقِّقَةِ؛ وَوَضَعَتْ لِلتَّعْلِيمِ مِيزَانِيَّاتٍ ضَخْمَةً، وَتَوَلَّيَتْهُ عِنَايَةً عَظِيمَةً، فَانْتَمَ أَهْلٌ لِتَحْقِيقِ آمَالِهَا وَتَطْلُعَاتِهَا وَوَلَاةِ أَمْرِنَا حَفِظَهُمُ اللَّهُ بِحِفْظِهِ، وَأَنْ يُرَكِّزُوا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ. وَأَخْتِمُ بِالصَّالِحَاتِ أَجَالَنَا. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ. وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى عِظَمِ نِعَمِهِ وَإِمْتِنَانِهِ، وَحُدَّةِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلِيلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَا بَعْدُ . فَأَتَقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ التَّقْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، مَسْئُولِيَّةَ حِمَايَةِ آبَائِنَا، وَمِنْ الْإِنْحِرَافَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، فَعَلَى كُلِّ مَنَّا أَنْ يَقُومَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ بِهِ، بِحِمَايَةِ هَذِهِ النَّاشِئَةِ مِنْ جَمِيعِ الْإِنْحِرَافَاتِ الَّتِي تُؤَثِّرُ عَلَى أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ . جَعَلَهُمُ رَبِّي قُرَّةَ أَعْيُنٍ لَنَا.